الجوانب العمرانية والاقتصادية في مدينة الكوفة

The urban and economic aspects of the city of Kufa

محمد خلف أحمد
معلم في تربية كركوك
د. ظفر عبد الرزاق ذنون
أستاذ مساعد
جامعة الموصل – كلية التربية للعلوم الانسانية – قسم التاريخ

Mohammed Khalaf Ahmed
Teacher in Kirkuk Education
Dr. Zafar Abdul Razzaq Thanoon
Assistant Professor
University of Mosul - College of Education for Human Sciences - Department of History

mohamadaljobory1987@gmail.com

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول
٢٠٢٢/٧/٢٤	٢٠٢٢/٨/٢٨

الكلمات المفتاحية: الكوفة، المسجد، الاسواق، المهن، التجارة

Keywords: Kufa, the mosque, markets, professions, trade

الملخص

تضمنت هذه الدراسة مدينة الكوفة من حيث الجوانب العمرانية والاقتصادية وقد قسمت هذه الدراسة الى مبحثين ، حيث تناول المبحث الاول الجانب العمراني في مدينة الكوفة من مسجد جامع ودار امارة، فضلاً عن بناء الدور والاسواق.

اما المبحث الثاني فقد تضمن تقديم دراسة عن الجوانب الاقتصادية في الكوفة من ثلاثة جوانب وهي الجانب التجاري والزراعي والصناعي.

Abstract

This study included the city of Kufa in terms of urban and economic aspects, and this study was divided into two sections..

As for the second topic, it included presenting a study on the economic aspects in Kufa from three aspects, namely, the commercial, agricultural and industrial aspects..

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعثه الله بالحق ليكون هاديًا ونورًا للعالمين سيدنا محمد (ﷺ) وعلى آله وصحبه اجمعين.

اما بعد:

يعد الجانب العمراني في مدينة الكوفة من الجوانب المهمة التي تميزت بها هذه المدينة وما احتوت عليه من مسجد جامع يجتمع فيه المسلمون ودار امارة حيث مقر الوالي والحاكم الذي يدير شؤون هذه المدينة بالإضافة الى الاسواق والطرق.

اما الجوانب الاقتصادية في مدينة الكوفة وهو احد اهم الجوانب التي تقوم عليها المدن حيث تم تناول الجانب الزراعي وما يتعلق بالأراضي الزراعية وتوزيعها على الناس والاهتمام بمشاريع الري للمساعدة في تحسين هذا الجانب المهم في حياة الناس ، وكذلك تم تناول الجانب الصناعي وما اشتهرت به مدينة الكوفة من صناعة العمائم الكوفية وغيرها من الصناعات ، فضلاً عن جانب آخر من جوانب الحياة الاقتصادية التي تم تناوله هو الجانب التجاري وما اشتهر به العرب في الاشتغال بالتجارة منذ قبل الاسلام مروراً بصدر الاسلام.

المبحث الاول

الجانب العمراني في مدينة الكوفة

شهدت مدينة الكوفة بعد تمصيرها على يد القائد سعد بن ابي وقاص (ﷺ) في عصر الخلافة الراشدة وتحديدا في عصر الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) أعمالاً عمرانية كثيرة وعلى مختلف الاصعدة منها الديني مثل مسجد الكوفة ومنها الاداري وهو ما يخص دار الامارة التي كانت مقرا للولاة الى جانب المسجد فضلا عن دار الرزق و الاسواق و التي كانت تحتوي على مهن وحرف كثيرة كان العرب قد مارسوها منذ بداية نزولهم مدينة الكوفة. وسوف نتطرق الى بعض العمران في مدينة الكوفة :

أ) بناء مسجد الكوفة :

بعد انتشار الاسلام اصبحت المساجد المكان الرئيس الذي يلتقي فيه المسلمون لتأدية العبادات،[١] وفي عهد النبي محمد (ﷺ) لم يتخذ للعبادة فقط إنما اتخذ صفة عسكرية وادارية وعلمية بالإضافة الى وظيفته الرئيسة وهي الوظيفة الدينية وفي عصر الخلافة الراشدة وتحديدا عصر الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) الذي شهد عصره اتساع رقعة الدولة العربية الاسلامية نتيجة الفتوحات الاسلامية وتمصير الامصار هكذا كان المسجد وسيلة من وسائل الدعوة وركيزة مهمة من ركائز بناء المجتمع الإسلامي.

يعد مسجد الكوفة احد اهم تلك المساجد فبعد تمصير الكوفة سنة (١٧هـ /٦٣٨م) كان اول عمل قام به القائد سعد بن ابي وقاص (ﷺ) هو بناء المسجد فوضع في موضع التمارين من السوق. ثم قام رجل في وسط المسجد شديد النزع، فرمى عن يمينه وعن يساره وبين يديه ومن خلفه، وأمر من شاء أن يبني وراء موقع السهام وترك المسجد في مربعة غلوتين في غلوتين وبنى في مقدمته ظلة من مائتي ذراع .[٢] ، ثم بناء باقي اجزاء المدينة من دار الامارة ودار الرزق والسوق ومنازل المسلمين الذين اختاروا الاقامة في المدينة الجديدة الا وهي الكوفة، لان سعد بن ابي وقاص قد خيرهم بين البقاء في المدائن او نزول الكوفة وقد بنيت ظلة في المقدمة من المسجد على اساس من الرخام المستعمل في بناء الاكاسرة في الحيرة

---

(١) هاشم حسين ناصر المحنك، موجز تمصير الكوفة وعمرانها حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين، دار انباء للطباعة والنشر، النجف الاشرف، ط٢، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١٠م: ٢٣.

(٢) البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الاندلسي ، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، (عالم الكتب ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٣ هـ): ٤٢٧/١.

وقام ببنائه رجل فارسي يدعى (روزبه) وكان البناء من مادة (الآجر)[١] " فقد بني مسجد الكوفة بأنقاض قصور الحيرة، فزالت بذلك معالم تلك المدينة، ولم يبق منها أي شيء بتوالي الأيام".[٢]

اما عن سعة المسجد حيث كتب عمر بن الخطاب إلى سعد أن اختط موضع المسجد الجامع على عدة مقاتلتكم فخط على أربعين ألف إنسان فلما قدم زياد زاد فيه عشرين ألف إنسان.[٣]

كان المسجد في بداية بنائه لا يحتوي على جدران تحيط به حيث كان الجالس فيه يرى من حول المسجد ويرى دير هند.* وباب الجسر.[٤]

اما موقع المسجد فهو كما يذكر لنا ابن جبير صاحب الرحلة الشهيرة الى بلاد المشرق حيث يصف المسجد عندما زار مدينة الكوفة " والجامع العتيق آخرها مما يلي شرقي البلد، ولا عمارة تتصل به من جهة الشرق وهو جامع كبير، في الجانب القبلي منه خمسة أبلطة، وفي سائر الجوانب بلاطان وهذه البلاطات على أعمدة من السواري الموضوعة من صم الحجارة، المنحوتة قطعة على قطعة، مفرغة بالرصاص، ولا قسي عليها، على الصفة التي ذكرناها في

---

(١) ابو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري، تاريخ الامم والملوك ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، ط١ ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م: ٤٧٩/٢

(٢) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار الساقي، ط٤، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م: ٨٨/١٥.

(٣) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م: ٤٩١/٤؛ ابو الحسن علي بن ابي الكرم ابن الاثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م: ٣٥٤/٢.

(٤) الطبري، تاريخ الامم والملوك: ٤٨١/٢؛ سليمان بن موسى الكلاعي الاندلسي، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب ،بيروت، ١٤١٧هـ: ٣٠١/٤ .

* **دير هند:** يقع هذا الدير في منطقة الحيرة قامت ببنائه هند بنت النعمان بن المنذر وهي هند التي تعرف بـ(حرقة) وهي التي دخلت على القائد خالد بن الوليد عندما فتح الحيرة وطلب خالد تزويجها لاحد المسلمين لكنها رفضت لكبر سنها ولكنها طلبت من خالد بن الوليد ان يحمي قومها. البكري الاندلسي، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع: ٦٠٤/٢.

مسجد رسول الله، (ﷺ)، وهي في نهاية الطول، متصلة بسقف المسجد، فتحار العيون في تفاوت ارتفاعها. فما أرى في الأرض مسجدا أطول أعمدة منه ولا أعلى سقفا".[١]

وفي تخطيط المدن الإسلامية حرص المسلمون على إنشاء المساجد في المدن التي مصرها المسلمون الكوفة، والبصرة، والموصل، والفسطاط، حيث كان يتوسطها المسجد بالإضافة الى دار الامارة والاسواق.[٢]

ب) دار الامارة :

يعد دار الامارة المركز الاداري والمكان الذي يتخذه الامراء والولاة مقرا لهم لإدارة ولايتهم اذ يعد دار الامارة في الكوفة من اقدم العمائر الاسلامية في العراق.

اختط العرب المسلمون دار الامارة بعد الانتهاء من بناء المسجد الجامع وجعل فيها بيوت الاموال ، لقد قام رجل فارسي يدعى(روزبه بن بزرجمهر) ببناء دار الامارة الى جانب المسجد الجامع في الكوفة وكان يربط بين دار الامارة والمسجد الجامع طريق طوله مائتي ذراع وكان بناء هذا الدار من مادة (الأجر) الذي تم جلبه من الحيرة.[٣]

كان موقع قصر الامارة الى الجهة الجنوبية من المسجد الجامع مع انحراف قليل نحو الشرق ليكون في اتجاه القبلة.[٤]

يذكر البلاذري ان دار الامارة والمسجد الجامع البناءان الوحيدان المتقاربان فيقول: " ان سعداً بعد اختيار موقع المسجد ورمي السهم وضع مسجدها ودار امارتها في مقام العالي وما حوله".[٥]

لقد تعرض بيت المال للسرقة على اثر ثقب احدث في احد جدرانه حيث كتب سعد بن ابي وقاص (رضي الله عنه) الى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يخبره بما حصل لبيت المال فأجابه

---

(١) محمد بن احمد ابن جبير الاندلسي، رحلة ابن جبير، دار ومكتبة الهلال، بيروت: ١٦٨/١.

(٢) جميل عبد الله محمد المصري، انتشار الإسلام الفتوحات الإسلامية زمن الراشدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٠٩هـ: ١٠٢/١.

(٣) الطبري، تاريخ الامم والملوك: ٢ / ٤٧٩.

(٤) لويس ماسينيون، خطط الكوفة وشرح خريطتها، ترجمة : تقي بن محمد المصعبي ، دار الوراق للنشر ، ط١ ، ٢٠٠٩م: ٥١ .

(٥) أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري، فتوح البلدان ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨٨م: ٢٧١/١.

الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) ان ينقل المسجد الى جنب الدار وان يجعل الدار قبلته " فإن للمسجد اهلا بالنهار والليل".[١]

تذكر المصادر ان سعد بن ابي وقاص (ﷺ) قد جعل له بابا للقصر بسبب الضوضاء التي تسببها الاسواق القريبة من هذه الدار وعندما علم الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) بموضوع الباب رفض هذا الاجراء حيث أرسل اليه (محمد بن سلمة) الى الكوفة وأمره ان يقوم بحرق هذا الباب وخصوصا عندما كان الناس يطلقون على دار الامارة بـ (قصر سعد) فعندما وصل محمد بن مسلمة الى الكوفة قام بحرق ذلك الباب ودفع اليه كتاب الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) إلى سعد بن ابي وقاص (ﷺ) " بلغني أنك بنيت قصرا اتخذته حصنا ويسمى قصر سعد وجعلت بينك وبين الناس بابا فليس بقصرك ولكنه قصر الخبال ، انزل منه منزلاً مما يلي بيوت الأموال وأغلقه ولا تجعل على القصر بابا تمنع الناس من دخوله وتنفيهم به عن حقوقهم ليوافقوا مجلسك ومخرجك من دارك إذا خرجت ".[٢]

مما سبق يتضح ان الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) كان يحرص اشد الحرص على بقاء العلاقة بين الخلافة وبين الرعية المسلمين وغير المسلمين قائمة على اساس العدل والمساواة بين الناس وانه يجب على الامير او الوالي ان يكون قريباً من الناس دائما ويستمع اليهم ويرفع الظلم عنهم ان وجد وان لا يجعل بينه وبين الناس اي حاجز لذلك أمر بحرق ذلك الباب.

ومن الجدير بالذكر أن البناء في أول الأمر عندما نزل المسلمون الكوفة كان من القصب كونها تحتوي كميات كبيرة من القصب، وقد تعرضت البصرة والكوفة الى حريق بسبب البناء من القصب وقد كان حريق الكوفة اشد حيث احترق فيها (٨٠) عريشاً، لذلك وبعد هذه الحادثة طلب سعد بن ابي وقاص (ﷺ) من الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) ان يكون بناء الكوفة من (اللبن) فوافق الخليفة على طلبه وفق شروط حددها الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) وهي :

١) ان لا يزيد البنيان عن ثلاثة طوابق.

٢) ان لا يتطاولوا في البنيان.

٣) ان يلتزموا بالسنة النبوية.

---

(١) الطبري، تاريخ الامم والملوك: ٢/٤٨٠.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان: ١/ ٢٧٣؛ الطبري، تاريخ الامم والملوك: ٢/٤٨١؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ: ٢/٣٥٤.

" فبعث سعد إلى عمر منهم نفرا يستأذنونه في البناء باللبن ويخبرونه عن الحريق، فأذن لهم وقال: ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة أبيات ولا تطاولوا في البنيان وإلزموا السنة تلزمكم الدولة وعهد عمر إلى الناس وتقدم إلى الوفد أن لا يرفعوا بنيانا فوق القدر".[١]

يذكر ان القدر يقصد به الاقتصاد في البناء وكذلك الابتعاد عن الاسراف غير المبرر في البناء، وعندما وصلت الخلافة الى الخليفة الراشدي علي بن ابي طالب (ﷺ) اصبحت الكوفة هي عاصمة الخلافة الاسلامية و لم يتخذ دار الامارة مقرا له انما اتخذ مكاناً يدعى (الرحبة) في الجهة الغربية من دار الامارة مقرا له واصبحت تسمى فيما بعد بـ(رحبة علي).[٢]

بعد تأسيس الدولة الاموية عام (٤١هـ /٦٦٢م) اتخذ ولاتها قصر الامارة مقرا لإدارة حكمهم وتعاقب على حكم ولاية الكوفة عدة ولاة منهم سعد بن ابي وقاص وعمار بن ياسر والمغيرة بن شعبة وزياد بن ابيه وعبيدالله بن زياد والمختار بن ابي عبيد الثقفي ومصعب بن الزبير وعندما قتل مصعب بن الزبير في زمن خلافة عبدالملك بن مروان تم تخريب وتدمير دار الامارة بأمر من الخليفة الاموي عبدالملك بن مروان سنة (٧٢هـ/٦٩٢م) " وكان في هذا القصر قبة ينزلها الأمراء، فدخل عبد الملك بن عمير على عبد الملك بن مروان وهو في هذه القبة على سرير، وعن يمينه ترس عليه رأس مصعب بن الزبير، فقال: يا أمير المؤمنين، رأيت في هذه القبة عجبا! فقال: ما ذاك؟ قال: رأيت عبيد الله بن زياد على هذا السرير، وعن يمينه ترس عليه رأس الحسين، ثم دخلت على المختار بن عبيد وهو على هذا السرير، وعن يمينه ترس عليه رأس عبيد الله بن زياد، ثم دخلت على مصعب بن الزبير وهو على هذا السرير، وعن يمينه ترس عليه رأس المختار، ثم دخلت عليك يا أمير المؤمنين وأنت على هذا السرير، وعن يمينك ترس عليه رأس مصعب! فوثب عبد الملك عن السرير وأمر بهدم

---

(١) الطبري، تاريخ الامم والملوك: ٤٧٩/٢؛ عبدالله بن عبد العزيز البكري الاندلسي، المسالك والممالك، دار الغرب الاسلامي، ١٩٩٢م: ٤٢٦/١؛ جمال الدين ابو الفرج ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م: ٤٢٧/١؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ: ٣٥٣/٢؛ هشام جعيط، الكوفة نشأة المدينة العربية الاسلامية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ط١، ١٩٨٦م: ١٤٠.

(٢) أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ: ١ / ١٤٨؛ الطبري، تاريخ الامم والملوك: ٤٨٠/٢.

القبة"[١]، وهذا دليل على كثرة التقلبات السياسية والادارية التي كانت تمر بها الدولة العربية الاسلامية في تلك الحقبة الزمنية بعد استشهاد الخليفة عثمان بن عفان (ﷺ) مرورا بخلافة علي بن ابي طالب (ﷺ) وما تخلل تلك الخلافة من معارك داخلية وفتن بين المسلمين ومن ثم استشهاد الخليفة علي بن ابي طالب (ﷺ) على يد الخارجي عبدالرحمن بن ملجم وحتى تأسيس الخلافة الاموية وما حدث بين عبدالله بن الزبير وبين عبدالملك بن مروان من فتن ومعارك ادت بالنهاية الى سيطرة البيت الاموي على الخلافة الاسلامية ونقل العاصمة من الكوفة الى دمشق لذلك كان من الطبيعي وجود تلك النزعات والتقلبات في المدن والامصار لأن طرفي الصراع هم من المسلمين.

وقد ذكر الرحالة (ابن بطوطة) بعد زيارته للكوفة اثناء رحلته قائلاً : " أما دار الإمارة الذي بناه سعد بن ابي وقاص فلم يبقَ منه إلا أساسه".[٢]

(١) المطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد: ٢٣/٦؛ زكريا بن محمد القزويني، اثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت: ٢٥١/١؛ حسين بن احمد البراقي، تاريخ الكوفة، حرره: محمد صادق بحر العلوم، ط٣، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م: ٧١.

(٢) محمد بن عبدالله بن بطوطة، رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٤١٧هـ: ٢ / ٥٥.

المبحث الثاني

الجانب الاقتصادي في مدينة الكوفة

يُعدُّ انتقال العرب واستقرارهم في مدينة الكوفة نقطة تحول في تاريخ العرب والمسلمين وكذلك حتى الذين لم يعتنقوا الدين الإسلامي وتعد نقطة تحول مهمة في تاريخ المدينة نفسها لإن اساس بناء المدن هو الاستقرار وبالتالي نتيجة الاستقرار سوف يحدث الازدهار في مختلف الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية والفكرية. ويمكن تقسيم الحياة الاقتصادية الى جوانب ثلاثة :

١) **الجانب الزراعي :**

تعد الزراعة مظهراً من مظاهر الحياة الاقتصادية وعاملاً من عوامل الاستقرار منذ اقدم العصور البشرية ، فقد زاول اهل الكوفة حرفة الزراعة منذ ان وطئت اقدامهم تلك المنطقة وذلك لما تتميز به مدينة الكوفة من خصب التربة ووجود المياه العنصران الضروريان للزراعة اذ اعتمد اهل الكوفة على الري من نهر الفرات والجداول المتفرعة من هذا النهر و بدأ الناس بالزراعة عندما تم توزيع الاراضي عليهم وتمليكهم (ارض الموات) [*]من قبل الخلافة العربية الاسلامية، ولابد من الاشارة هنا الى ان الخليفتين الراشدين عمر بن الخطاب(ﷺ) وعثمان بن عفان (ﷺ) لم يقوموا بتشجيع الزراعة وذلك لان الزراعة تحتاج الى استقرار واذا قام المقاتلون بزراعة الارض سوف ينتهي عامل الجهاد في سبيل الله لا سيما وان الفتوحات الاسلامية كانت في اوج قوتها في ذلك الوقت.[١]

لقد اراد العرب المسلمون الفاتحون ان يقوم الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) بتوزيع اراضي السواد عليهم لكن الخليفة رفض ذلك وترك هذه الاراضي المفتوحة لإصحابها مقابل دفع خراج تحدده الخلافة العربية الاسلامية على تلك الاراضي (اراضي السواد)، وسمي العراق

(*) **ارض الموات:** الموات الأرض التي لم تعمر شبهت العمارة بالحياة وتعطيلها بفقد الحياة وإحياء الموات أن يعمد الشخص لأرض فيحييها بالسقي أو الزرع أو الغرس أو البناء فتصير بذلك ملكه سواء كانت فيما قرب من العمران أم بعد . أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩ هـ: ١٨/٥؛ وفي الحديث عن النبي عليه السلام: «من أحيا أرضا ميتة فهي له». أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت :١٧٨/٣، رقم الحديث (٣٠٧٣).

(١) محمد حسين الزبيدي، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الاول الهجري، المطبعة العالمية، القاهرة، ١٩٧٠م: ١٣٤ .

بأرض السواد وجاءت هذه التسمية "لان العرب كانت تلحق لون الخضرة بالسواد فتوضع أحدهما موضع الآخر، ويقال إنما سمى السواد سواداً لأن العرب حين جاؤوا نظروا إلى مثل الليل من النخل والشجر والماء فسموه سوادا"،[١] الا ان هذا الاجراء كان سببا في عدم تحول الفاتحين إلى فلاحين، وفي ربط الفلاحين القدامى بأرضهم وولائهم لبلدهم، وساعد ذلك على ازدهار الزراعة في السواد، وما كان بوسع الفاتحين استثمار الأرض لنقص الخبرة[٢]، " فأدت جباية سواد الكوفة قبل أن يموت عمر (ﷺ) بعام مائة ألف ألف درهم "[٣]، ولأن العرب لم تكن لديهم الخبرة الكافية بالزراعة لإن اغلبهم جاء من بيئة صحراوية كانت ابعد ما يكون عن الزراعة حيث كانت الحرفة الرائجة عند العرب في شبه الجزيرة العربية هي التجارة لذلك كانت هناك صعوبة في مزاولة الزراعة.[٤]

كانت الاراضي التي وزعت على اهل الكوفة مقسمة الى عدة اقسام هي :

١) اراضي الصلح : وهي الاراضي التي صالح اهلها المسلمين وبقيت ملكيتها بيدهم مقابل دفع مبلغ من المال للمسلمين ومثال ذلك عندما صالح القائد خالد بن الوليد (ﷺ) اهل الحيرة عندما فتحها سنة (١٢هـ/٦٣٤م) على ان يدفع اهل الحيرة خراجاً لبيت مال المسلمين في المدينة المنورة مقابل ابقائهم على اراضيهم.

٢) الاراضي التي فتحت عنوة: هذه الاراضي لا تباع ولا تشترى وتبقى ملكُ صاحبها يستغلها في الزراعة.

٣) الاقطاعيات : هذه الاراضي شملت سواد الكوفة وهي ملكآ للمسلمين وتضم معها الاراضي التي تقع داخل حدود مدينة الكوفة.[٥]

٤) أراضي الصوافي التي كانت لكسرى وأهل بيته وكذلك ممن قتل في المعارك او الذين هربوا الى مناطق اخرى وتركوا اراضيهم.[٦]

---

(١) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م: ١٢/١.

(٢) أكرم بن ضياء العمري ، عصر الخلافة الراشدة ، مكتبة العبيكان – الرياض ، ط١ ، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م: ٣٦١/١؛ هشام جعيط، الكوفة نشأة المدينة العربية الاسلامية: ٨٤.

(٣) ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم الانصاري، الخراج، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، المكتبة الازهرية للتراث: ١ / ٣٦.

(٤) الزبيدي، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة: ١٣٥.

(٥) ابو يوسف، الخراج: ٣٨/١؛ الزبيدي، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة: ١٤٣.

(٦) الطبري، تاريخ الامم والملوك: ٤٧٢/٢.

اهتم الخلفاء الراشدون بالطرق واستصلاح الاراضي الزراعية، و قاموا بتشجيع الزراعة من خلال حفر الانهر وشق الترع وتطهيرها، واشتهرت الكوفة بالعديد من المحاصيل الزراعية منها الحنطة والشعير والنخيل والسمسم والكروم والذرة وغيرها من المحاصيل الزراعية، حيث كان لنهر الفرات وروافده فضلا عن خصوبة التربة الأثر الواضح في تنشيط وازدهار الزراعة في تلك المنطقة، كما اهتموا بأمر البطائح وتجفيفها من اجل زيادة رقعة الاراضي الزراعية.(١)

٢) الجانب الصناعي :

لم تكن الصناعة في العصور الاسلامية الاولى صناعة متطورة وانما كانت بسيطة لسد حاجات الناس وقد استخدم اهل الكوفة بعض الصناعات للتجارة مثل " العمائم الكوفية " التي كانت تصنع من المنسوجات الحريرية وانتشرت صناعة الخز والتي تتخصص بصناعة عمائم الخز المشهورة انذاك فضلا عن صناعة العطور".

واشتهرت الكوفة بالأدهان الجيدة ما لم يخص به بلد لا سيما دهن البنفسج ودهن الخيري ودهن البان الخالص الذي يقال له دهن الغالية ".(٢)

وازدهرت في الكوفة صناعة الأسلحة حيث كان النجارون يصنعون الاقواس والسهام والرماح وأدوات الحصار كالمنجنيق، وصناعة الأواني الفخارية و الخزفية.(٣)

ويورد المقدسي في كتابه **أحسن التقاسيم** نصاً عن صناعة العمائم الكوفية حيث يقول : "وبالكوفة عمائم الخز والبنفسج في غاية الجودة "(٤) وكذلك النقوش على الملابس والوشي المطرز الذي كان يصنع من الحرير، "وخصت الكوفة بصنعة الوشي(*) الرفيع الذي يبلغ ثمنه

---

(١) محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، صورة الأرض، دار صادر، بيروت، ١٩٣٨م: ٢٤٣/١؛ الزبيدي، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة: ١٤٠؛ هشام جعيط، الكوفة نشأة المدينة العربية الاسلامية: ٨٨.

(٢) أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت: ١٢٨/١.

(٣) الزبيدي، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة: ١٤١.

(٤) المقدسي، احسن التقاسيم: ١٢٨/١.

(*) **الوشي:** خلط اللون باللون ومنه (وشى) الثوب إذا رقمه ونقشه (والوشي) نوع من الثياب الموشية ووشى الثوب وشيا وشية: حسنه. ووشاه: نمنمه ونقشه وحسنه، الشية كل ما خالف اللون من جميع الجسد. محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ: ٣٩٢/١٥.

ما لا يبلغه ثوب من ثياب الدنيا لجودة صنعته والدقة والإتقان وصحة تأليف عيونه. وربما بلغ الثوب منه عشرة آلاف دينار".[١]

حظي النشاط الصناعي في الكوفة على درجة كبيرة من التطور في العصور الاسلامية المتأخرة، حيث اشتهرت في مدينة الكوفة عدد من الحرف والصناعات بسبب تشجيع الولاة والخلفاء فضلاً عن وجود وفرة في المواد الاولية التي كانت توجد في مدينة الكوفة.

٣) الجانب التجاري :

تعد التجارة من الانشطة الاقتصادية المهمة وهي من أقدم الحرف التي مارسها العرب منذ عصر ما قبل الاسلام مروراً بالعصور الاسلامية، فعندما نزل العرب الكوفة مارسوا هذه المهنة بالإضافة الى الزراعة والصناعة، وماشجعهم على ذلك موقع الكوفة المهم الذي جعلها منطقة تجارية مهمة بالنسبة للتبادل التجاري وكثرة السلع والبضائع والصناعات والاسواق فضلا عن كونها عاصمة الخلافة الاسلامية في عهد الخليفة علي بن ابي طالب (ﷺ)، ووجود سكان الحيرة الذين انتقلوا للعيش في مدينة الكوفة عند انشائها إذ كان لهم دور مهم في التجارة والصناعة والزراعة، فضلاً عن تشجيع الخلفاء الراشدين والامويين للتجارة وباقي المهن والحرف الاقتصادية والتي تعد مورداً مهماً من موارد الدولة العربية الاسلامية مما انعكس بدوره على العلاقات السياسية والاقتصادية بين الكوفة والمناطق المجاورة لها الامر الذي ادى الى الازدهار الاقتصادي على مختلف الاصعدة.

كانت العمليات التجارية والتبادل التجاري تجري في اماكن مخصصة للتجارة في مدينة الكوفة ومنها **الاسواق ودار الرزق والكناسة** ، والكناسة من اهم المراكز التجارية في مدينة الكوفة حيث كانت تجرى فيها التعاملات التجارية عرفت بـ(كناسة أسد)،[٢] ثم اصبحت محلة او سوق او مركز تجاري مهم وهي في الكوفة مثل المربد في البصرة،[٣] وهي محل لرمي الانقاض لقبيلة اسد وتقع عند مخرج الكوفة من الغرب حيث اصبحت تجارة للنقليات ومكاناً لإناخة الابل وموضعا لتحميل البضائع وتفريغها ويقع الى جنب الكناسة سوق الحدادين وعلى شرقها سوق الغنم،[٤] وتمتد الكناسة من قصر الامارة ومسجد الكوفة الى دار الوليد بن عقبة من جهة والى القلائين ودور ثقيف واشجع من الجهة الاخرى، وتذكر المصادر ان في الكناسة

(١) البكري، المسالك والممالك: ٤٢٨-٤٢٩ .

(٢) المصدر نفسه: ١١٣٦/٤.

(٣) البراقي، تاريخ الكوفة: ١٢٨.

(٤) ماسنيون، خطط الكوفة: ٥٩.

صلب يوسف بن عمر عامل هشام بن عبد الملك على العراق زيد بن علي بن الحسين بن علي.[١]

كانت تجري في ناحية الكناسة بيع وشراء الماشية من بغال وحمير وإبل من قبل النخاسين وكذلك بيع الرقيق وقد سكنت عدة قبائل في هذه المنطقة وهم قبيلة عبس وضبة وتميم وبني عوف وبني حزام وهم بطن من بطون بنو اسد ومنازل آل طلحة من بني تميم.[٢]

اما **دار الرزق** فهو المركز التجاري الثاني الذي يأتي بعد الكناسة وقد انشأ منذ انشاء مدينة الكوفة وكان مجاور دار الامارة والمسجد الجامع حيث يجمع في هذه الدار متاع المقاتلة واموال الصدقات وغنائم الحروب قبل توزيعها على المقاتلة ثم اصبحت فيما بعد مركزاً تجارياً مهماً في مدينة الكوفة وقد لعبت هذه الدار دوراً كبيراً في الفتن والاضطرابات التي حدثت في الكوفة.[٣]

كانت صادرات الكوفة من المنتجات المحلية التي اشتهرت بها هذه المدينة من الوشي والعطور والتمور والفاكهة والعمائم الكوفية المصنوعة من الخز غالي الثمن، اما واردات الكوفة كانت تعتمد على المدن المجاورة لها ومنها الخيول العربية الاصيلة وغيرها من السلع التي كانت تأتي الى مدينة الكوفة. ويذكر ابن الفقيه نصاً عن اهم ما اشتهرت به الكوفة من البضائع "وما قد اعطي اهل الكوفة من عمل الوشي والخز وغير ذلك من انواع الثياب والامتعة والتمور، فإن فيها من انواع التمور ما قد عدم مثله في البصرة والاهواز وبغداد والحجاز، فمن تمورهم الهيرون والنرسيان والقسب العنبري والازاذ وغير ذلك".[٤]

---

(١) البلاذري، انساب الاشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر – بيروت، ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦م: ٢٥١/٣؛ أبو الفرج الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعرفة ، بيروت: ١٣٨/١؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت، ط٢، ١٩٨٠م: ٤٩٥/١.

(٢) ماسنيون، خطط الكوفة: ٦٠.

(٣) البراقي، تاريخ الكوفة: ١٢٧.

(٤) احمد بن محمد بن اسحاق ابن الفقيه الهمداني، البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م: ٦٤٠/٢.

الاسواق والمهن :

تعد الاسواق احد المظاهر المهمة التي اخذت بنظر الاعتبار عند تخطيط مدينة الكوفة، فقد كانت الاسواق في بداية امرها غير محددة في مكان واحد الا انها جمعت فيما بعد بسوق رئيسي واحد وقد تعددت المهن والاسواق التي ظهرت في الكوفة ولعبت الاسواق دورا كبيرا في الحياة الاقتصادية والاجتماعية وهي احد اسباب الاستقرار بالنسبة للسكان في الكوفة.

ذكر اليعقوبي موقع الاسواق في مدينة الكوفة حيث قال:" وتقع الاسواق من القصر، والمسجد إلى دار الوليد إلى القلائين إلى دور ثقيف وأشجع وعليها ظلال إلى أيام خالد بن عبد الله القسري فإنه بنى الأسواق وجعل لأهل كل بياعة داراً وطاقاً وجعل غلالها للجند، وكان ينزلها عشرة آلاف مقاتل".[١]

كانت اسواق الكوفة مخصصة للمهن المعروفة والصناعات التي اشتهرت بها مدينة الكوفة هي:

١) سوق الصاغة: ويصنع فيه الحلي والمصوغات الذهبية وتقع محالهم في جنوب المسجد الجامع.

٢) سوق الخز والقصارين: وتقع محالهم في اطراف دار الوليد.[٢]

٣) سوق الحدادين: وتقع محالهم في غرب المدينة وكان يصنع فيه بعض الآلات الحديدية ومنها السيوف وغيرها.

٤) سوق القلائين : يقع على امتداد الكناسة.

٥) سوق البقالون (التمارون): باعة التمر.

٦) باعة الصابون.

٧) سوق السراجين: وهو على مقربة من سوق الخز.

٨) الصيارفة والسماسرة : وهو من اهم اسواق الكوفة ويقع هذا السوق بالقرب من المسجد في جهة القبلة.[٣]

٩) الوراقون: وتقع محالهم في شمال المسجد.

١٠) الجزارون.

١١) الحناطون: باعة الحنطة والشعير.

١٢) باعة الازهار كالبنفسج والزئبق الابيض.

---

(١) اليعقوبي، البلدان: ١٤٨/١-١٤٩.

(٢) أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق: احسان عباس، دار صادر – بيروت، ط١، ١٩٦٨م: ٢٤/٦.

(٣) ماسنيون، خطط الكوفة: ٤٨.

١٣) سوق الغنم : لبيع وشراء الغنم ويقع الى شرق الكناسة.

١٤) سوق البراذين: وهو سوق لبيع واستئجار البغال والحمير.

١٥) سوق الزياتين: وهو السوق الخاص ببيع وشراء الزيت المستخرج من السمسم ويقع هذا السوق قرب قصر الامارة .[١]

ومن الجدير بالذكر ان هذه الاسواق كانت قريبة جداً من قصر الامارة وكانت سبباً من اسباب إحراق الباب الذي وضعه سعد بن ابي وقاص (ﷺ) في مدخل الدار بسبب الضوضاء التي كانت تحدثها هذه الاسواق ولكن الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) رفض هذا الفعل وبعث محمد بن مسلمة وامر بحرق ذلك الباب.[٢]

(١) الزبيدي، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة: ١٦٣

(٢) البلاذري، فتوح البلدان: ٢٧٣/١؛ هشام جعيط، الكوفة نشأة المدينة العربية: ١٥٢

الخاتمـــة

يتضح من خلال دراستنا حول موضوع الجوانب العمرانية والاقتصادية في مدينة الكوفة عدة استنتاجات منها، ان الكوفة قسمت الى قسمين شرقي وغربي لأهل اليمن والنزارية مما سبب نزاعاً فيما بعد بين اليمنية والقيسية والذي استمر لغاية سقوط الدولة الاموية والذي كان ايضاً أحد اسباب سقوط هذه الدولة. وكان نشأة واختيار مدينة الكوفة نتيجة لسياسة الاستقرار التي عمدت على تطبيقها الخلافة الراشدة في زمن الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) بعد اتساع الرقعة الجغرافية لهذه الخلافة لتمتد خارج حدود ارض الحجاز، مما جعل الكوفة تزدهر من جميع النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية والفكرية.

ثبت المصادر

- لسان العرب ، ابن منظور محمد بن مكرم بن علي ، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ
- فتوح البلدان ، البلاذري أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨٨م.
- انساب الاشراف ، البلاذري، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر – بيروت، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.
- مقاتل الطالبيين ، أبو الفرج الأصبهاني، ، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعرفة ، بيروت.
- الروض المعطار في خبر الأقطار، الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.
- البلدان ، ابن الفقيه احمد بن محمد بن اسحاق الهمداني، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م .
- الطبقات الكبرى ، ابن سعد أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي ، تحقيق: احسان عباس، دار صادر – بيروت، ط١، ١٩٦٨م.
- معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الاندلسي، عالم الكتب ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٣ هـ.
- المسالك والممالك ، عبدالله بن عبد العزيز البكري الاندلسي، ، دار الغرب الاسلامي، ١٩٩٢م.
- تاريخ الامم والملوك ، الطبري ابو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، ط١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- معجم البلدان ، ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله الرومي الحموي، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.
- الكامل في التاريخ ، ابن الاثير ابو الحسن علي بن ابي الكرم ، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء ، الكلاعي سليمان بن موسى الاندلسي، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب ،بيروت، ١٤١٧هـ.
- رحلة ابن جبير، ابن جبير محمد بن احمد الاندلسي، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
- البلدان ، اليعقوبي أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ.

- المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، ابن الجوزي جمال الدين ابو الفرج ، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.
- البدء والتاريخ ، المطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد.
- اثار البلاد وأخبار العباد ، القزويني زكريا بن محمد ، دار صادر، بيروت.
- رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، ابن بطوطة محمد بن عبدالله ، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٤١٧هـ.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩ هـ.
- سنن أبي داود ، أبو داود السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
- تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي ، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م.
- الخراج ، ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم الانصاري، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، المكتبة الازهرية للتراث.
- صورة الأرض ، ابن حوقل محمد البغدادي الموصلي، ، دار صادر، بيروت، ١٩٣٨م.
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، المقدسي أبو عبد الله محمد بن أحمد ، دار صادر، بيروت.

ثانياً: المراجع الحديثة

- موجز تمصير الكوفة وعمرانها حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين ، هاشم حسين ناصر المحنك، ، دار انباء للطباعة والنشر، النجف الاشرف، ط٢، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١٠م.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي، دار الساقي، ط٤، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
- خطط الكوفة وشرح خريطتها ، لويس ماسينيون، ترجمة : تقي بن محمد المصعبي ، دار الوراق للنشر ، ط١ ، ٢٠٠٩م.
- انتشار الإسلام الفتوحات الإسلامية زمن الراشدين ، جميل عبد الله محمد المصري، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٠٩هـ.
- الكوفة نشأة المدينة العربية الاسلامية ، هشام جعيط، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ط١، ١٩٨٦م.

- تاريخ الكوفة، حسين بن احمد البراقي، حرره: محمد صادق بحر العلوم، ط٣، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.
- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الاول الهجري ، محمد حسين الزبيدي، المطبعة العالمية، القاهرة، ١٩٧٠م.
- عصر الخلافة الراشدة ، أكرم بن ضياء العمري ، مكتبة العبيكان – الرياض ، ط١ ، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.